

محمد حديد

## مذكراتي: الصراع من أجل الديمقراطية في العراق

تحقيق نجدة فتحي صفوة  
(بيروت: دار الساقى، ٢٠٠٦). ٥٧٦ ص.

### صباح ياسين

معاون مدير عام مركز دراسات الوحدة العربية.

من كتب مذكرات السيرة التي خُطت لتغطي الفترة التي رافقت أو أعقبت تأسيس ونهوض الدولة العراقية الحديثة بعد معركة الاستقلال في النصف الأول من القرن الماضي، والتي امتدت على مساحة عقدين من الزمن وأكثر.

وكتاب مذكراتي: الصراع من أجل الديمقراطية في العراق ليس سيرة حياة شخصية، بالمعنى العام، بقدر ما عبرت عن تسلسل أحداث سياسية عصفت بالعراق، وقف قربها صاحب السيرة، محمد حديد، ليقول فيها كلمته مشاركاً في صناعة الحدث، وشاهداً على تفاصيله، وحتى مراقباً يلحظ من بعد خطوات تشكل ملامح تجربة ديمقراطية، يؤسس الصراع في سبيلها، في الوقت الذي تتدرج فيه الدولة العراقية الفتية، والحديثة النشأة، على سلم ملتوٍ تعصف به رياح خارجية عاتية وتقاطعات مصالح داخلية، لتبدو الصورة أحياناً شديدة القتامة، وأخرى مشرقة تدفع إلى التفاؤل والأمل.

ليس من الصدف، أن الكتابة في صفحة التاريخ عبر سرديات الذكريات، يولد دوماً قضية معلّقة، وقصصاً لم تكتب خاتمتها بعد، وقد لا يعني ذلك بأن الغنى والتنوع في حفريات الماضي لاقتناء لحظات التوهج يمثل بالنتيجة نمطاً من الحوار بين وعي محكوم بزمنيه، وماضٍ نحاول أن نعيد تشكيل رموزه، أو ربما حتى حاضره نسقط فوق أكتافه غنى التجربة البشرية بكل سميتها.

وغالباً ما نستعيد دلالة التأويل في فهمنا معنى الانتماء إلى زمن معين، ومكان بذاته في التاريخ الذي يروى ثم يكتب. ونلتقط بين حين وآخر تلك المحاولات المتميزة بالإصرار على توكيد الذات وترسيخ معالم هويتها. هذه الإشارة لا تعني أن الكتاب الذي نسافر بين صفحاته في هذا العرض هو من يحمل الجواب الأوفى عن كل تلك التساؤلات، ولكنه يملأ بعضاً من تفاصيل الصورة وتشكل الجوانب الأخرى التي تستكمل في العشرات

## أولاً: سلسلة المناداة

وفي إطارها العام، عبّرت المذكرات في جوانبها المتنوعة عن قصة بناء تجربة الدولة في العراق، فلقد حفز وعي أهمية بناء وطن مستقل يفخر به أبنائه إلى إطلاق ما يسمى بـ «سلسلة المناداة»، تلك الأصوات التي نسمعها في الأفق من سرب الإوز المهاجر في مناداته بعضه بعضاً، وكأنه الحث على مواصلة ماراثون الانتقال نحو المستقبل. وهكذا فقد تداعى أبناء العراق بعد حصول بلدهم على الاستقلال من أجل استكمال بناء دولته الحديثة، وليس للبلد، أي بلد، غير أبنائه يحملون ثقل تلك المهمة ويتدافعون في سبيل إنجازها.

وليس من المفارقة أن تتشكل أولى ملامح شخصية ودور محمد حديد، حين اتجه نحو بيروت ليوصل تعلمه فيها عام ١٩٢٤ بعد سنوات النشأة والخطوات الأولى في مدينة الحدياء العربية، الموصل، وبيروت آنذاك تتوثب نحو الانعتاق من الاستعمار الفرنسي ونيل الاستقلال. وفي ذلك الجو السياسي بدأت تتشكل ملامح الوعي السياسي الوطني والعروبي التي ترافقت مع تكوين نواة تنظيم من عدد من الطلاب العراقيين الذين يدرسون في الجامعة الأميركية في بيروت<sup>(١)</sup>، تلك النواة التي كانت لاحقاً خميرة العمل السياسي باتجاه تشكيل

منظمات وأحزاب ليبرالية وديمقراطية كان لها دورها في الحياة السياسية العراقية خلال النصف الأول من القرن العشرين.

وفي المرحلة الثانية للدراسة انتقل حديد إلى كلية الاقتصاد والسياسة في جامعة لندن، وتلك الانتقالة أسهمت لاحقاً في تشكيل جانب من الوعي السياسي بشروط الحياة البرلمانية في الدولة التي كانت تحتل وتدير بلده<sup>(٢)</sup>. وفي تلك السنوات، وخلال الأجواء التي تتميز بها كلية الاقتصاد والسياسة في جامعة لندن، ومع العدد القليل من الطلبة العرب، انتقل حديد إلى ميدان أوسع للعمل السياسي ضمن «اتحاد الطلبة» من أجل تفعيل الدعوة إلى تأليف عصابة مكافحة الاستعمار من الشباب العرب المعنّين بالسياسة. وكان حصاد سنوات الدراسة في لندن، خميرة لاحقة لأسس النشاط السياسي، يمرّ عليها محمد حديد في مذكراته قائلاً: «وإقامتي في بريطانيا التي دامت ثلاث سنوات... كانت ذات شأن عظيم في تكويني الفكري والسياسي، بل تعدتها إلى ما تعلمته وخبرته من أجواء في بلد أوروبي متطور، وتعرفني إلى عادات الناس وطباعهم وطرائق تفكيرهم. يضاف إلى ذلك، ما شاهدت من أحداث اجتماعية واقتصادية وسياسية، أثرت في تربيتي السياسية والاجتماعية اللاحقة تأثيراً كبيراً».

(١) يذكر محمد حديد أن عدداً من الطلاب العراقيين قرروا تأسيس تنظيم وطني باسم «الشعبية» يعمل من أجل تحرير البلاد يضم كلاً من: عبد الفتاح إبراهيم، علي حيدر سليمان، جميل توما، عبد الله بكر، نوري روفائيل، درويش الحيدري، إبراهيم بيثون ومحمد حديد؛ ومن تنظيم «الشعبية» تمّ تقديم طلب رسمي لتأسيس نادٍ سمي «نادي النشء العراقي». ويرى حديد أن تلك الجماعة قد بذرت البذرة الأولى لـ «جماعة الأهلالي».

(٢) يقول محمد حديد: «ولفت نظرنا، نحن العراقيين والعرب، خطب النائب البريطاني الكابتن وجوود بن (Wedgwood Benn)، والد توني بن، النائب العمالي اليساري المعروف. كان وجوود بن نقيباً في الجيش خلال الحرب العالمية الأولى، وأصبح نائباً عن حزب العمال. وكان يدافع، دائماً، عن حقوق الأقطار العربية» (ص ٩١).

الصدور والتعطيل المؤقت والدوري، تتابع رحلة محمد حديد في الوظيفة، على صعيد العمل الاجتماعي والسياسي. ومن خلال إلقاء المحاضرات في كلية الحقوق وفي كلية الأركان، تجتمع زوايا صورة الوضع السياسي العراقي الذي كان يتفاعل عبر قضايا داخلية متصلة بترسيخ الكيان العراقي الحديث النشأة، ووفق المنهج الذي حرص على ترسيخه مؤسس دولة الاستقلال، الملك فيصل الأول، وبإطار أفكاره الإصلاحية. تلك الأفكار التي تأثرت إلى حد كبير بالأحداث والتحولات السياسية التي كانت سائدة في أوروبا آنذاك<sup>(٥)</sup>.

إن تلك الفترة كانت في الواقع تمثل الصفحة المكملة لخطوات الاستقلال الوطني والتخلص من معاهدة الانتداب بانضمام العراق إلى عصبة الأمم المتحدة، واتساع دائرة المشاركة الوطنية في الحياة السياسية والحزبية. وعلى الرغم من أن «جماعة

وفي العودة إلى الوطن يتأرجح الخيار بين العودة إلى بيئة العائلة الاقتصادية التي مارست التجارة<sup>(٣)</sup>، أو الاستجابة لنداء العمل السياسي بالانتماء إلى قاطرة الوظيفة العامة. وفي كلا الميدانين فإن إمكانية التعبير عن الموقف الفكري أو السياسي سوف تجد صداها في الانتقال نحو العاصمة بغداد، وفيها تبدأ الخطوات الأولى لمحمد حديد، موظفاً في وزارة المال، واستعادة العلاقات مع أصدقاء الدراسة في مراحلها المختلفة، الموصل وبغداد ثم لندن، وبالتالي استئناف عمل جمعية «الشعبية» بعد أن عاد معظم أعضائها إلى بغداد من دراستهم في الخارج، وقد صدر لاحقاً (تموز/يوليو ١٩٣١) عن الجمعية مطبوع الأهالي، ليضم العدد الأول منه مقالة لمحمد حديد عن الأزمة الاقتصادية العالمية من دون توقيع<sup>(٤)</sup>.

وعبر مسيرة جريدة الأهالي، بين

(٣) يروي محمد حديد من ذكرياته حكاية تعبر عن تباين المواقف والخيارات التي تفرضها البيئة والنشأة على أبنائها. يقول محمد حديد: «بعد سفري من الموصل إلى بغداد للالتحاق بوظيفتي، جاءت سيدة بارزة من آل العمري تزور والدتي، ولما علمت بسفري لأعين موظفاً قالت لوالدتي: «عيني أنتو الجلبيّة والتجار شجابكم على الوظيفة... هاذي الوظيفة من نصيبنا نحن الأفندية»، فأجابتها والدتي: «إن محمد لم يذهب إلى الوظيفة لأجل الراتب، بل لكي يخرج من محيط الموصل المحافظ إلى محيط أرحب وأوسع وأكثر تقدماً». وها هي السيدة العُمرية تؤكد ذلك في حديثها مع والدتي: «فأعمال التجارة للجلبية والتجار، والوظائف للأفندية» (ص ١٠٦).

(٤) يروي محمد حديد قصة صدور العدد الأول من جريدة الأهالي، ومساهمته الصحافية الأولى في الجريدة من دون ذكر اسمه. «إن كان العمل السياسي والكتابة في الصحف من الأمور المحظورة على الموظفين، ما أدّى إلى نشر جميع المقالات، سواء الافتتاحيات أم غيرها، من دون توقيع، باستثناء مساهمات غير الموظفين، إذ كانت تنشر مع ذكر أسمائهم» (ص ١١٠).

(٥) يقول حنا بطاطو: «لقد تأثر الملك فيصل الأول بشكل طبيعي بالميول الفكرية النابعة من تأثيرات الأحداث والتحولات السياسية في أوروبا، وبشكل خاص بفكرة الاستقلال الوطني أو الوحدة الوطنية، فقط كان إحساسه بأن العناصر الثقافية الجديدة النابعة من أوروبا كانت عناصر تطور أو شيء سمي «أصالة»، في حين أن الانتماء إلى الطرق القديمة للحياة يتضمن اللاجدوى والإحباط في ذاته. انظر: حنا بطاطو، العراق، ترجمة عفيف الرزاز، ج ٣، ط عربية ٢ (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩٥)، ج ١: الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، ص ٣٥٧.

استخدام الذخيرة الحية في خطط قواعد الهجوم والاشتباك.. إلخ، وغالباً ما تحمل تلك التمارين، وانتقال القطاعات العسكرية من معسكراتها إلى ميادين التمرين، أحداثاً سياسية كبيرة، تقود في أغلبها إلى تدخل الجيش إما بإسقاط حكومات أو بتغيير النظام بأسره.

ولعل مناورات خريف عام ١٩٣٦ والتي سميت لاحقاً بـ «انقلاب بكر صدقي» كانت بداية لتدخل العسكريين في الحياة السياسية العراقية، وفرضهم استبدال حكومة بأخرى. وهذا أدّى بالتالي إلى استمرار «تدخل الجيش في السياسة، وأصبحت له اليد العليا في عزل الحكومات وتنصيبها، وهذا ما أدّى إلى تأزم شديد في العلاقة بين الأمير عبد الإله، الوصي على عرش العراق، وبين العقلاء الأربعة، صلاح الدين الصباغ، وكامل شبيب، وفهمي سعيد، ومحمود سلمان، الذين كانوا يسيطرون على الوضع سيطرة فعلية،

الأهالي» التي نشط من خلالها محمد حديد ومجموعته، كان لديها مواقفها المعلنة المعارضة لسياسات الملك فيصل الأول<sup>(٦)</sup>، إلا أنها دعمت الإجراءات الإصلاحية التي أقدمت عليها الحكومات المتعاقبة في معالجة المشاكل الداخلية، مثل قضية إضرابات العمال<sup>(٧)</sup> وحركة الآثوريين<sup>(٨)</sup>. وكُلّ تلك الأحداث، وبسبب المواقف التي اتخذتها جماعة الأهالي لمساندة الدولة في إجراءات معالجة المشاكل الداخلية، وبشكل خاص قضية تمرد الآثوريين، فقد أدّى ذلك إلى توطيد علاقة جماعة الأهالي مع الحكومة لفترة زمنية لم تستمر كثيراً.

## ثانياً: مناورات الخريف

في ذاكرة العراقيين منذ عقد الثلاثينيات من القرن الماضي ما يسمى بمناورات الخريف، وهو من التوقيعات المحددة في قيادة الجيش لإجراء التمارين للقطاعات العسكرية المختلفة، ومن ضمنها

(٦) كانت جماعة الأهالي ترى «أن الملك فيصل، بالاتفاق مع الحكومة البريطانية المنتدبة، هو السبب الرئيسي وراء انحراف سير الدولة العراقية الحديثة عن الديمقراطية الصحيحة نتيجة تدخله في انتخابات المجالس النيابية منذ قيام المجلس التأسيسي حتى آخر مجلس نيابي في حياته، وبعدها... والواقع أن الملك فيصل اقتبس أسلوب التدخل في الانتخابات ومسح الحياة البرلمانية من الحياة السياسية في العهد العثماني، وبالتحديد من انتخابات المجلس النيابي بعد انقلاب عام ١٩٠٨ على السلطان عبد الحميد، وهو الأسلوب نفسه الذي انتخب على أساسه الشريف فيصل نفسه نائباً عن الحجاز في مجلس المبعوثان العثماني مثل سائر أعضاء ذلك المجلس». (ص ١٣١).

(٧) «في الأشهر الأخيرة من سنة ١٩٣٣، ظهرت مشكلة شركة كهرباء بغداد، وهي شركة أجنبية، بريطانية - بلجيكية، وقد طالبت نقابة اتحاد العمال بخفض السعر الذي تباع به الشركة الوحدة الكهربائية»، وبعد فشل المفاوضات أصدر اتحاد العمال بياناً يدعو الشعب فيه إلى مقاطعة شركة الكهرباء، وقد استمرت المقاطعة فترة من الزمن، اضطرت بعدها الشركة إلى خفض سعر الوحدة الكهربائية (ص ١٢٣ - ١٢٤).

(٨) «بعد احتلال العراق قدمت سلطات الاحتلال البريطانية تسهيلات متنوعة للآثوريين، سواء من كان منهم في العراق أصلاً أو الذين لجأوا إليه من تركيا، وهم الغالبية، وأسكنتهم مناطق مختلفة في شمال العراق، ولا سيما في مناطق الموصل، كذلك جندت منهم أعداداً كبيرة في قوات «الليفي» التي يقودها ضباط بريطانيون... وبسبب ذلك وقف العراقيون منها موقفاً معادياً». ومع تطور الأوضاع الداخلية وقعت صدامات دامية مع الآثوريين، ما أدّى إلى أن تقوم الحكومة باتخاذ إجراءات لقمع الحركة المتمردة (ص ١٢٤).

عاماً في اجتلاب عدد ولو قليل من الضباط، بحيث أصبحت أمنية كُُلّ سياسي أن يكون من حوله عدد منهم، واستغلت في هذا الباب صلات القريبى والصداقة والجوار للضباط»<sup>(٩)</sup>. وعملياً فقد تركت تلك المرحلة آثارها وبصماتها على واقع العمل السياسي الحزبي في العراق، وأضحت القوى السياسية تعدّ للجيش حساباً وأدواراً مرتقبة.

ومن نتائج تلك المرحلة تفجرت حركة رشيد عالي الكيلاني، وتشكلت حكومة الدفاع الوطني، وقد وقفت «جماعة الأهالي» مع تلك الحكومة مساندة لها في سياساتها وإجراءاتها. ولكن تطور الأوضاع العامة الذي قاد إلى تدخل عسكري بريطاني مباشرة، وهروب حكومة الكيلاني، وعودة الوصي عبد الإله إلى بغداد، أدخلت العراق مرة أخرى تحت هيمنة بريطانيا، وفرضت في الداخل الأحكام العرفية، وتم حلّ الأحزاب والجمعيات، وكُلّ ذلك سيقود لاحقاً إلى مغادرة مؤقتة لمحمد حديد للميدان السياسي نحو ميدان العمل التجاري والصناعي.

ويوجهون سياسة الحكومة القائمة والتي تناوب على رئاستها نوري السعيد وطه الهاشمي، وأخيراً رشيد عالي الكيلاني الذي ألف ما سمي حكومة الدفاع الوطني في ٣/٤/١٩٤١» (ص ١٧٤).

ولعل هذا الجانب في ذكريات محمد حديد يأخذ مداه تفصيلياً، ليروي تفاصيل تقدم العسكريين نحو المواقع الرئيسية في إدارة الدولة، وممانعة القصر الملكي، والسفارة البريطانية، وجماعات مختلفة من تداعيات تدخل الجيش في إدارة شؤون الدولة، حتّى يبدو أن «مجتمع» الحكومة قد انقسم عملياً بين تيارين: الأول، هو الملك ونوري السعيد والعديد من الوزراء، والقسم الآخر، هو عدد من السياسيين المعارضين ومعهم مجموعات من الضباط التي برز دورها عملياً بعد انقلاب بكر صدقي. ويلخص حالة الاستقطاب السياسي روفائيل بطي في الوضع العراقي آنذاك في **ذاكرة عراقية**: «بعد انتهاء انقلاب بكر صدقي حصلت تكتلات جديدة في الجيش، كما إن ميل رجال السياسة أنفسهم أصبح

(٩) انظر: روفائيل بطي، **ذاكرة عراقية**، ٢ ج، ط ٢ (دمشق: دار الثقافة للنشر، ٢٠٠٣)، ج ١، ص ٣٠٦. ويسجل بطي بعض جوانب صعود دور الكتلة العسكرية في الحياة السياسية في العراق بعد انقلاب بكر صدقي: ولا شك في أن انقلاب بكر صدقي أظهر لهؤلاء الساسة أن الماطلات السياسية وألعابها تنهار كلها أمام القوة العسكرية، فارتفعت ثقتهم بأنفسهم وأصبحت لا تتحدث إلى أي رجل سياسي عن عمل حزبي إلا ويظهر لك بطلان هذا العمل. وقد رأس هذا الوضع والحالة النفسية في الجو السياسي، رجل ذكي هو رستم حيدر، فأدخل في تقرير لجنة المالية حول الميزانية عندما كان رئيساً لهذه اللجنة ضرورة إبعاد الجيش عن التدخل في السياسة. ومن غريب الصدف أن يفاجأ رستم حيدر نفسه بزيارة ضابط برتبة رئيس (رائد) في وزارة المالية بعد أن صار وزيرها في الوزارة السعيدية بملابسه العسكرية، فيطلب أن يمنح أحد أقاربه أراضي. فيسأله رستم بأية صفة يكلمه، فيجيبه بصفته ضابطاً في الجيش، لا يجهل أن له أمراء في الجيش أعلى منه، وأنه إذا قدر لرستم أن يوزع الأراضي بالأوامر العسكرية، فالأحرى أن تأتي هذه الأوامر على الأقل من كبار أمراء الجيش الذين يأتهم بأوامرهم الضابط المذكور. ثم ينقل رستم حيدر الحديث إلى أحد أركان الكتلة العسكرية، فتثور ثائرتة على هذا الضابط ويفهمونه أنهم ليسوا عصابة جاءت لابتزاز الأموال ونهب الأراضي، فيسخط الضابط وينقلب ولاؤه إلى عداء شديد، فيشترك في المؤامرات ضد هؤلاء الضباط.

## ثالثاً: الزيوت النباتية

وتكشف مذكرات محمد حديد عن هذه الفترة جانباً من الحياة الاقتصادية السائدة في العراق في الأربعينيات من القرن الماضي، ودور البرجوازية الوطنية العراقية في تأسيس المصالح الاقتصادية مثل البنوك والمصانع، ومدى ما توافر لها من حماية وطنية، أو منافسة خارجية، أسهمت في تطورها واتساع أنشطتها، وبالتالي تأثير ذلك في الحياة السياسية.

إن جانباً من قدرات محمد حديد قد تجلت في نشاطه الصناعي في تلك الفترة<sup>(١٠)</sup>، ولعلها أسهمت لاحقاً في توجهاته الاقتصادية عندما اشترك في الحكومة العراقية. إن الجانب الاقتصادي المستند إلى تأهيله العلمي الأكاديمي، إضافة إلى جذور نشأته الطبقة، ظهر بشكل جلي في مساهماته النظرية في برامج الحزب الوطني الديمقراطي الاجتماعية والاقتصادية، إلا أن الظروف السياسية غير المستقرة التي اتسمت بها الفترة بين انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ وقيام ثورة ١٤ تموز/يوليو عام ١٩٥٨ لم توفر الإمكانية لبناء تجربة نهوض اقتصادي - صناعي ذي ملامح متميزة، بل إن أغلب الصناعات التي تم تأسيسها في تلك الفترة إما كانت صناعات للمواد الأولية للبناء، كمعامل الأسمنت والرخام والطابوق، أو الصناعات التحويلية مثل معامل الزيوت النباتية والمنظفات وبعض معامل تعليب

المواد الغذائية، ومن أبرزها صناعة تعليب التمر.

ويعبر محمد حديد عن تفاؤله في إمكانية بناء نهضة صناعية في العراق آنذاك، على الرغم من الظروف والأوضاع الداخلية السائدة فيها: «إن النشاط الصناعي هو جزء من الجهود الكثيرة التي أدت، مجتمعة، إلى بدء الحركة الصناعية في العراق وإلى توسعها في ما بعد» (ص ١٨٦). ولكن جاذبية العمل الصناعي لم تقاوم الرغبة الكامنة لديه في مواصلة العمل السياسي الوطني، والعمل من أجل ولادة مشروع حزب جديد هو الحزب الوطني الديمقراطي، تمثله في الحياة السياسية العراقية جريدة **صوت الأهالي** كامتداد لـ **جرائد الأهالي** التي كانت تصدرها «جماعة الأهالي» في الثلاثينيات من القرن العشرين.

## رابعاً: في وزارة المال

ولعل الفصل الذي عنونه محمد حديد في مذكراته بـ «في وزارة المال» يسجل واحدة من أكثر مراحل العمل السياسي والوظيفي في رحلة حديد تشابكاً وتعقيداً، فالوظيفة العامة امتحان للمبادئ والمواقف والقدرات الشخصية على التصرف الميداني، مع التمسك بالأهداف والعمل على تحقيقها.

إن النظام الجمهوري يستند في شرعيته إلى امتياز القدرة على التغيير السياسي والاقتصادي وتحسين أوضاع الفئات الصغيرة في المجتمع، كما جاء في

(١٠) أسهم محمد حديد في العديد من الأنشطة الصناعية في العراق في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، ومنها على سبيل المثال تأسيس «شركة الجوت العراقية» و «شركة صناعة التمر العراقية» و «شركة الرخام العراقية».

التصرف باستثمار المناطق المستولى عليها من قبل شركات النفط من قبل الحكومة العراقية مباشرة، وذلك هو القانون الذي مهد لاحقاً إلى تأسيس صناعة وطنية نفطية عراقية.

## خامساً: بعيداً عن السلطة

وإذ يروي محمد حديد ذكرياته التي غطت تفاصيل الأحداث السياسية التي عصفت بالعراق لأكثر من نصف قرن، فإنه كان يقف شاهداً على عتبة التاريخ، محافظاً على حياديته في تقييمهما، على رغم من أنه كان شريكاً في صناعة الكثير من أحداثها، فقد عرفه العراقيون معتزلاً ومتمسكاً بكفاءته ونزاهته الوطنية، سواء في عمله في الوظيفة العامة، أو في ميدان العمل السياسي الوطني.

إلا أن محمد حديد بعيداً عن السلطة، وناشطاً في الحركة الوطنية العراقية في مختلف المراحل، في العهد الملكي ثم الجمهوري، قد دوّن بأمانة وموضوعية سفرًا من حياة العراق الحديث، ووثّق جانباً مهماً من تفاصيل الحياة السياسية ضمن النشاط الحزبي أو من خلال التعبير عن الرأي عبر الصحافة الوطنية. وكان، مثل غيره من أبناء العراق، من أولئك البنّاء الذين تنادوا بإيمان وبذلوا وضحوًا في سبيل العراق أملاً في إنجاز سيادته الوطنية وبناء مستقبله الأفضل.

البيان الأول للثورة. وكان ذلك هو التحدي الأول الذي سيواجه أول وزير للمالية في العهد الجديد، وبالتالي لا بُدَّ من زيادة الصرف على قطاعات الدولة المختلفة وبشكل خاص القطاعات الخدمية: «إضافة إلى ضرورة توفير المبالغ المطلوبة لتنفيذ توسعات خدمات الدولة من الناحية الإدارية والتنفيذية، هناك فائدة مهمة لزيادة الصرف في ظروف الثورة، التي لا بُدَّ أن تنعكس على الحركة الاقتصادية والنشاط الفردي» (ص ٣٣٨).

وعن هذه المرحلة ١٩٥٨ - ١٩٦٣، يوثق محمد حديد ليس فقط نشاط وزارة المال في «عهد الثورة»، وإنما تجاوز الأحداث السياسية التي عصفت بالثورة منذ أيامها الأولى وأبرزها الخلافات بين قادة الثورة<sup>(١١)</sup>، وتأثيرات ذلك الخلاف في أطراف جبهة الاتحاد الوطني والوفاق بين أحزابها، والذي قاد بالتالي إلى استقالة الوزراء القوميين من الحكومة، وبرز دور الشيوعيين في الحياة السياسية العامة، وتفجر حركة الشواف في الموصل وقمعها وتداعيات ذلك. كذلك كانت بدايات التمرد الكردي بقيادة الملا مصطفى البرزاني ضد الحكومة المركزية، واتجاه حكومة اللواء عبد الكريم قاسم نحو مواجهة تفرد شركات النفط الأجنبية العاملة في العراق في تقرير سياسة الأسعار والاستثمار والتسويق، وذلك بتشريع وإصدار القانون رقم (٨٠) الذي حفظ حقوق العراق المشروعة في

(١١) يقول محمد حديد: «إنه كان من نتائج الخلاف الذي نشأ بين عبد السلام عارف وعبد الكريم قاسم من ناحية، والكشف عن مؤامرة رشيد عالي الكيلاني من ناحية أخرى، حصول انقسام في القيادة العسكرية للثورة، لم يكن في بدايته ظاهراً، ولكنه أخذ يطفو على السطح تدريجاً، ويؤدي إلى انقسام في الرأي العام. وكان الصراع، في الحقيقة، يدور حول من يتولى السلطة الفعلية في نظام غير ديمقراطي» (ص ٣٤٨).

وفي كل ذلك كان محمد حديد، مثل غيره من السياسيين الليبراليين، قد حاول أن يمارس تطبيق مبادئه في المعارضة والسلطة، فكان في الوقت ذاته معارضاً نشطاً في جريدة **الأهالي** والحزب الوطني الديمقراطي، وموظفاً حكومياً يحرص على صياغة مشاريعه الإصلاحية. وبين رحي قطبي السلطة والمعارضة، تجلت إمكانيات محمد حديد في أنه مارس مسؤولية المعارضة الوطنية للسلطة، ومسؤولية السلطة في التعامل مع نشاط المعارضة □

ولقد أظهر الإطار العام للمذكرات أن العراق، ومنذ تأسيس دولته الحديثة عام ١٩٢١، قد أفتقد بيئة سياسية تحتضن مرجعية فكرية للطبقة الوسطى تكون فيها قدرة على ممارسة دور فاعل في صياغة القرارات المصرية للبلد، وأن أسباباً عديدة، منها بروز دور مؤسسة الجيش في الحياة السياسية وغيرها، قد أدت إلى تكميم الرأي العام وغياب نشوء معارضة قادرة على مراقبة أداء السلطة وتطوير بناء الحياة الوطنية على أسس صحيحة.

## صدر حديثاً

### الاغتراب في الثقافة العربية

مقاهات الإنسان بين الحلم والواقع

د. حليم بركات



يتناول الدكتور حليم بركات، ظاهرة الاغتراب مركزاً بصورة خاصة على المجتمع العربي حيث «يعيش الشعب - كما يقول - كابوساً لا حلماً... إنه محاصر. ودائرة الحصار تضيق باستمرار، فيضطر بفعل اليأس إلى الانشغال بتدبير شؤونته الخاصة، وتحسين أوضاعه المعيشية المادية على حساب كرامته وإنسانيته وطاقاته الإبداعية».

وإذا كان مصطلح الاغتراب ما زال في حاجة إلى جلاء أبعاده، فإن المؤلف حقق في فصول هذا الكتاب إنجازاً نوعياً متقدماً على هذا الصعيد عندما غاص في تفاصيل واقع الاغتراب، ما يجعل المصطلح أكثر اقتراباً من الوضوح والدقة العلميين، ولا سيما حينما بحث بمنهج نقدي «طبيعة العلاقات السائدة بين الإنسان والمؤسسات والأنظمة السياسية والأوضاع الاجتماعية العامة».

٢٢٦ صفحة

الثمن: ٦ دولارات  
أو ما يعادلها